الطاغوت

حينما ضجت الأصوات من حولك تهدر بالصاخب وبالوعيد في استماتة، وغضب شديدين تناشدك الرحيل، وزوال ملكك وترك البلاد، في هتافٍ مدوٍّ ومستمر في كل أركان المكان، انتفضت من رقدتك الطويلة مفزوعاً، وأنت تنفض عن عينيك غلة النوم المديدة التي قضيتها في جوف هذا التابوت الزجاجي وتساءلت في دهشة :

« ما هذه الأصوات الهادرة التي تطالبني بالرحيل، وزوال ملكي ؟!!»

وطوفت بعينيك الوجلتين في المكان ترنو في دهشة عمن وضعك في هذا التابوت !! وما تلك الوجوه الغريبة التي تطالعك في وجل وذعر، وصحت في غضب :

« من ذا الذي يهتف بسقوطي وزوال ملكي ؟!! أين هامان والجنود ؟!! أين سلطاني الذي لا يزول ؟!! وأين قصري

المهيب ؟ وتلك الأنهار التي تجري من تحت أقدامي؟! أين أنا أيها الثائرون ؟!!»

وخرجت من المتحف المصري تطوف في عجب وتحط على تلك الحشود البائسة التي تملأ الميدان، تهدر حناجرها في غضب بسقوط الرئيس، وسقوط نظامه !! فقلت في دهشة وعدم تصديق :

« هل يوجد من يملك مصر غيري ؟!! ومن هذا الفرعون الذي تجرأ أن ينازعني الملك ويستولي عليه ؟!!»

جاءتك الإجابة من تلك الوجوه البائسة :

« إنه مبارك»

فقلت في دهشة وعجب :

« ومن يكون مو - با - رك هذا ؟!! وهل جاء من نسلي، أم من نسل اليهود الذين اندفعت خلفهم حتى اليم فكان غرقي وزوال ملكي ؟!!»

وجاءتك الإجابة في غضب محموم :

« لم نجد له ملة، الهيئة مسلم، ولكنه لم يحكم بما أنزل الله، طاغوت جلس فوق عرش بلادنا يحكمنا بالحديد وبالنار، ويذيقنا كل الهوان، فاق جبروتك يا فرعون، وفاق كل الطواغيت الذين كانوا يعيثون في الأرض فساداً، في البارحة

سلط علينا الخيالة وراكبي الجمال، وأطلق كلابه المسعورة، ودفع برجال أمنه وبلطجيته يقذفوننا بالنار حتى نفض الاعتصام، ولكننا قاومناه بالحجارة من ظهيرة الأمس حتى فجر هذا اليوم، وها نحن واقفون نطالبه الرحيل»

ووقعت عيناك على لافته يحملها شابٌ كادح، كتب عليها (ارحل يا ريس، نفسي آكل لحمه !!)

فقلت له في شفقة :

« وهل منع عنكم أكل الظبيان ولحوم الغزلان والماعز ؟!!»

وتعالت الضحكات من حولك في سخرية :

« بل حرمنا من لحم البقر، جعلنا نتفرج عليها معلقة على واجهات محلات الجزارة ونكتفي بأكل الفتات !!»

« فلتلعنه كل الآلهة رع وآمون، أن كان هذا حالكم !! لم يشقَ الرعايا في عهدي ولم يكن هناك بائس، كل الرعايا كانوا يحيون في عز وقوة، تدين لهم كل البلاد بالسيادة وبالريادة، وبالتقدم والسمو في شتى المجالات فكيف أصبح حالكم على يديه ؟!!»

« كما ترى، أصبحنا أمه متخلفة في الصناعة وفي الزراعة، وفي كل العلوم، باع المصانع وبور الأرض التي كانت في عهدك تجود بالخير وبالنماء !! عم الفساد، ضج العباد من الكفاف، حتى تردي حالنا !!»

وطفرت عيناك بالشفقة، وقلت في انزعاج :

« ما كان هذا حال قومي !! وما جلست فوق عرشي إلا لينهل العباد من نعيمي، ولا أرى على وجوههم هذا الشقاء، كان الشقاء والسخط على قوم هارون وموسي لأنهم تجرأوا وقالوا لي إن الربوبية في السماء، ولست أنت ربنا، ولم أع معني الرسالة، لذا جاء زوال ملكي»

ثم هدرت في غضب :

« وماذا أنتم فاعلون ؟!!»

« نناشده الرحيل، وتجتمع كل الحشود حتى يحين يومنا، لزحف نحو قصره المنيع كي نزيل ملكه ثم يحين عقابه، على كل سنواته العجاف، وعلى التردي والشقاء، ومذلة العيش، ووأد النساء»

وصحت في الكون تهدر :

« يا كل الفراعين التي خلفتني على عرش مصر استيقظوا، ولتزحفوا معي نحو قصره المنيع لنحاسبه على التردي، وزوال مجد بلادنا !! فإنه فاق كل الطواغيت الذين جلسوا فوق عرش بلادنا !!»

صباح اليوم الموعود ..

الجمعة ٤ ـ ٢ ـ ٢٠١١